

الأمير الزنجيلي وأعماله العمرانية في ثغر عدن (توفي بعد سنة 626هـ/1229م)

أ. د. عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع

أستاذ التاريخ والحضارة - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة صنعاء

المخلص

تاريخ اليمن بحقبه المختلفة بلغه الكثير من الغموض ، مما يولد تناقضاً واضطراباً نتيجة تخرصات الرواة بحسب خلفياتهم الفكرية والعاطفية .. وها نحن هنا نحاول الكشف عن نقطة في تاريخ اليمن تتعلق بالمدة التي عاشتها عدن، عدن إمارة الأمير عثمان الزنجيلي (المتوفى بعد 626هـ/1229م) في ظل الحكم الأيوبي لليمن .

إن هذه الورقة ستدرس عدة جوانب تتعلق بالأمير عثمان الزنجيلي : الجانب الأول : يقوم بتحريه شخصيته تعريفاً وترجمة . لأن الاضطراب يلف هذا الموضوع بشكل كبير، إذ تعرض لهجوم حاد من بعض الدارسين اعتماداً على بعض ما أشيع حوله .

الجانب الثاني : يتابع مهمته السياسية والإدارية في اليمن، وهذا سيجعلنا نتطرق - أولاً - بشكل سريع لمجيء الأيوبيين إلى اليمن ومراقبته لهم وكونه أحد أمرائهم ، وكيف وصل إلى تولي الإمارة على عدن، وهذا الجانب سيجرنا للحديث عن حقيقة الدور الذي قام به - سياسياً وإدارياً - في عدن وما يتبعها مثل حضرموت .

الجانب الثالث : يتعلق بالدور العمراني الذي قام به في عدن سواء العمراني الخيري كالمرات (الأوقاف) ، أو العمراني التجاري ، أو العمراني التحصيني العسكري . مستخلص من خلال الوقائع والدوافع والأهداف التي كان يرمي إليها من وراء تلك الإنشاءات العمرانية .

الجانب الرابع : سيكون بمثابة استخلاص النتائج التي ترقبت على الدور العمراني للزنجيلي في عدن بجميع أنواعه .

كلمات مفتاحية: إمارة عدن، الأوقاف، الإنشاءات العمرانية

1. مقدمة :

تميز التاريخ الإسلامي بتعدد وتنوع العنصر البشري الذي تسلم مقاليد الأمور في الدولة الإسلامية على اختلاف مشاربها .

فالعرب تولوا قيادة الأمة الإسلامية واستوعبوا الأجناس الأخرى ضمن إطار المجتمع الإسلامي ونسيجه، ولما ذوى وخبث توهج العرب نبغ رجال من أجناس أخرى: فرس، وترك، وروم، وكرد.. ومن ثم برزت قيادات فارسية وتركية وكردية تسلمت مقاليد الإسلام وفتحت البلدان باسمه، وأسقطت تيجان لا باسم الجنس الذي قاد الأمة، ولكن باسم الإسلام ، فكان من هؤلاء الترك الذين كانوا قادة عسكريين في الدولة العباسية ، والفرس الذين تسلموا المراكز الفكرية في الأمة الإسلامية ، ثم السلاجقة وهم

ترك.. ومن جاء بعدهم .. كالزنكيين والأيوبيين - الأكراد - والمماليك من كل الأجناس ثم العثمانيين.

ولم تكن هناك حساسية عرقية أو قومية أو جنسية اعترت الأمة فثارت ضد أولئك الحكام ، أو القادة بحكم أنهم من جنس غير جنسهم أو من قوم غير قومهم، بل وجدنا الأكراد والأتراك يحكمون بلداناً معظم سكانها من العرب، وما وجد لديهم مجرد تبرم من كونهم كرداً أو تركاً..

وهذا ما لاحظناه في اليمن فقد تقبلوا الأيوبيين وهم خليط من العرب والكرد والترک والروم والفرس تحت قيادة إسلامية لا تمت إلى الأعراق بصلته . وما دارت الحروب في اليمن مع الأيوبيين إلا للمصالح وليس لأنهم كرد أو ترك ... سواء المصالح السلطوية المذهبية أو السلطوية القبلية .

ومما يؤكد ما قلناه موضوعنا هذا الذي نتحدث فيه عن أمير لا صلته له باليمن نسباً ومكاناً ولكنه أمير يدين بالإسلام ، ويتبع قيادة الدولة الأيوبية المرتبطة بالخلافة الإسلامية (العباسية).

وستحاول هذه الورقة التعريف بشخصية الأمير الزنجيلي، ثم التعرف على بعض أوجه إدارته لثغر عدن، ثم تعرض لأعماله العمرانية في عدن ..

2. التعريف بالزنجيلي :

ينسب عز الدين أبو عمرو عثمان بن علي الزنجيلي إلى زنجيلة قرية من قرى دمشق ، وجاءت نسبته إلى الزنجاري دون تحديد السبب ، ووصف بالأمير الكبير⁽¹⁾ .. وجاء عند الجندي⁽²⁾ بأنه الزنجيلي ، والراجح أن هذه النسبة حصل فيها تحريف، لأن مدرسته التي أنشأها في دمشق عرفت بالزنجيلية أو الزنجارية⁽³⁾ ولم يذكر باسم الزنجيلي . ومن المؤكد أنه من أهالي دمشق أو ضواحيها بدليل المصادر التي أكدت على ذلك ، ولاستقراره ووفاته بها إلا أن ابن الجاور⁽⁴⁾ وهو يتحدث عن الزنجيلي نسبة إلى تكريت ، فهل هو ينتسب إلى تكريت وبالتالي هو كردي ولما استقر في الزنجيلية عرف بالزنجيلي ؟.. هذا مجرد احتمال .. مع العلم أن النسبة في التراجم الإسلامية تتكرر نسبة إلى القوم أو المكان الذي نشأ فيه أو تعلم فيه أو أقام فيه، أو مات فيه، ولا نملك - رغم الاستقصاء- تفاصيل عن سيرته قبل توليه هذا المنصب الإداري في اليمن ، إلا أننا نحتمل أنه كان من رجال الحرب والإدارة في ظل الدولة الزنكية ، وربما رافق أسد الدين شيركوه (ت 564هـ / 1169م)⁽⁵⁾ إلى مصر وصار بعد ذلك أحد الأمراء البارزين التابعين لصالح الدين الأيوبي⁽⁶⁾ (ت 589هـ/1193م)، بدليل أنه لما أرسلت الحملة إلى اليمن بقيادة توران شاه⁽⁷⁾ (ت 576هـ/1180م) كان أحد القادة المرافقين له⁽⁸⁾ . فكان الزنجيلي من القادة المقدمين له ، ولذا عيَّنه نائباً عنه على ثغر عدن وما لحقها من البلدان حتى حضرموت⁽⁹⁾ .

وبعد ثمان سنوات من الإمارة على عدن رجع إلى الشام كما سنوضحه لاحقاً، وترك عدن مخلصاً وراءه مآثر وبصمات خيرة تمثلت في المبرّات ، وفيما أوقفه عليها وهي كثيرة : سواء في عدن ، أو مكتة المكرمة ، أو موطنه دمشق ، ويبد وأن بعضها تمت وهو ما زال في عدن ، وبعضها جعلت بعد استقراره في الشام . ولكنها تنبئ عن شخصية تحمل روحاً خيرة .. إضافة إلى أنه صاحب دور كبير في إعمار مدينة عدن ، ووضع القواعد الإدارية والاقتصادية التي استناد منها الأمراء من بعده .

وقد أثرت حول شخصية الزنجيلي عدة قضايا لأسباب عدة .. أهمها عدم وجود معلومات تفصيلية دقيقة ، ومن هذه القضايا :

2.1. قضية هروبه من عدن :

ذكر بامخرمة⁽¹⁰⁾ أن الزنجيلي هرب من عدن مخافة أن يقبض عليه سيف الإسلام طفتكين (ت 593 هـ / 1197 م)⁽¹¹⁾ حينما دخل عدن في شوال 579 هـ / 1184 م . وإذا صح هذا فإنه قد يكون لخوفه من أن يطاله بطش سيف الإسلام بعد أن علم ما فعل بالأمرء الآخرين الذين صادرهم ، رغم ولائهم له⁽¹²⁾ . فما بال الزنجيلي الذي كان قد عمل على ضم مناطق خارج نطاق ولايته وضرب سكتة باسمه⁽¹³⁾ ، فكان لا بد أن يخاف وأن يخرج من اليمن ، ويبتعد عن وجه سيف الإسلام ، ولكن ليس على أساس أنه مغضوب عليه من قبل الدولة الأيوبية في عمومها . ومما يؤكد هذا أن ابن كثير⁽¹⁴⁾ لم يذكر هروب الزنجيلي من اليمن ، بل نص على أنه خرج منها قبل قدوم طفتكين إلى اليمن ، فسكن الشام إلا أن هذا الرأي من ابن كثير لا يُعَوَّل عليه مطلقاً فالزنجيلي لم يخرج من اليمن إلا بعد مجيء طفتكين ، وبعد علمه بما فعل بالأمرء الآخرين ، إلا أن كلام ابن كثير ذاك يعطينا دلالة على أن الرجل لم يكن مغضوباً عليه مطرداً . ومن أدلة عدم مطاردة سيف الإسلام للزنجيلي أن هذا دخل مكة عام 579 هـ / 1183 م على الهيئة التي ذكرها ابن جبير⁽¹⁵⁾ وقد شاهده عياناً وهو يتمتع بهيبة الإمارة ، ومعهُ الأموال الكثيرة التي وصفها وصفاً مبالغاً حتى شبهها بكنوز قارون .. ومما يدل على عدم هروبه أنه أوقف أوقافاً في مكة فأمر ببناء مدرسة عند باب العمرة ، وسبيل خارج باب الشبيكة في طريق التنعيم⁽¹⁶⁾ .

ولن يفعل ذلك إلا من هو هادئ النفس ، وليس مطرداً خاصة أن أمرء مكة كانوا على صلة وثيقة بسيف الإسلام نفسه⁽¹⁷⁾ فلو شاء أن يقبض عليه لتمر له ذلك عن طريقهم .

ومما يؤكد ما قلناه ما رواه أبو شامة⁽¹⁸⁾ عن العماد الأصفهاني (597 هـ / 1201 م) المعاصر للأحداث بأن الزنجيلي لما سمع بقدوم سيف الإسلام توجه إلى الشام دون أن يشير إلى هروبه والقبض على أمواله ، وهذا يوافق ما قاله ابن كثير . وقد ذكرت سابقاً أن ابن الأثير⁽¹⁹⁾ أشار إلى أن الزنجيلي كان على صلة دائمة بصلاح الدين عبر الرسائل ، وأنه كاتبه يشكو إليه فساد الحال في اليمن ، ويقترح عليه إرسال بعض أهله لتولي الإمارة . وقد وافقه صلاح الدين على ذلك فأرسل أخاه طفتكين . فلماذا لا تكون عودة الزنجيلي إلى الشام طبيعية حينما يأتي شخص بقوة سيف الإسلام طفتكين؟! .. وفوق هذا وذاك فإن الزنجيلي ترك في عدن أموالاً وأوقافاً ولم تمس ، بل عهد بإدارتها إلى قاضي دمشق ، وهذا عهد بها إلى قاضي مكة ، وهذا بدوره عهد بها إلى قاضي عدن وهو تحت سلطان طفتكين نفسه⁽²⁰⁾ فلو كان هارباً لصادر طفتكين تلك الأموال .

2.2. قضية حياته بعد عودته إلى الشام :

أعطانا ابن كثير⁽²¹⁾ رواية مهمة بأن الزنجيلي كان يعيش بعد عودته من اليمن في القدس الشريف ، ووصفه بالأمير ، وسماه فخر الدين عثمان البخاري (الزنجاري)⁽²²⁾ ، ورؤي أنه كان متولياً على القدس سنة 597 هـ / 1201 م ، وأشرف على بناء قبة المعراج بشكلها الحالي⁽²³⁾ . وصرح العلموي⁽²⁴⁾ بأنه سكن الشام أيام العادل الذي حكم بين عام 596 و

615هـ/1200 و 1218م) (25) ومن ثم كان يقوم بكفالة الأشرف موسى بن العادل الذي ولد سنة 576هـ/1180م وتوفي سنة 635هـ/1237م (26).

فمتى كانت كفالته إن لم تكن بعد خروجه من اليمن الذي كان عام 579هـ/1183م؟!

وهذا يعني أن الزنجيلي (الزنجاري) كان ذا حظوة لدى أمراء الشام الأيوبيين . ولعله كان إما أميراً على القدس الشريف . وأما أنه كان خيراً وذا مكانة، فجعل مشرفاً على تربية ابن السلطان العادل وهو في سن صغيرة. فإذا كان الأمير فخر الدين (أو عز الدين) قد عاد إلى الشام عام 579هـ/1183م فيكون قد كفل الأشرف بن العادل ، في أثناء إقامته في الشام ولم يكن هارباً، أو مغضوباً عليه من قبل بني أيوب.

2.3. قضية مصدر أمواله :

هنا سؤال يطرح نفسه ، وهو من أين كانت هذه الأموال لدى عثمان الزنجيلي، حتى يتم إنشاء مدرسته في دمشق بمكوناتها، وشراء أو إنشاء حوانيت وطاقون وجعلها محبوسات موقوفة وقفاً خيرياً لأذرياً؟ (27). إضافة إلى ما أوقفه من أوقاف في اليمن ومكة. الإجابة على هذا السؤال ليست من السهولة بمكان لعدم وجود وثائق تدل على ذلك، ولكن من خلال المقارنات والاستنتاجات قد نصل إلى إجابة شبه مقبولة وليست الإجابة النهائية.

تفيد بعض المصادر بأنه حينما عاد من عدن، كانت معه الأموال على سفن ، ولكنه لم ينج إلا بسفينته واحدة (28).

فهل هذه هي الأموال الباقية معه هي التي كان يصرف منها؟! بالتأكيد أن ما بذله من مال حينما كان أميراً على عدن لبناء المبرآت الوقفية كالمساجد والمدارس والسبل سواء في عدن أو في مكة كان يصرفها مما يتحصله من مال في اليمن بحكم سلطانه . سواء من أموال الدولة ، أو مما يؤل إليه من مخصصاته المالية . فهو يشتري الأرض ويبني عليها الموقوف عليها . ويشتري العقارات ويوقفها على المبرآت الوقفية سواء مدارس أو مساجد أو سبل .

وعلى الرغم مما قيل عن هروبه بالأموال القارونية، كما وصفها ابن جبير (29). إلا أن هذا يعني - إن صح - أنه ظل يُوقف أوقافاً في دمشق ، ومكة ، ولم ينفد ذلك المال . إلا إذا افترضنا أنه استثمره في التجارة ، وهذا احتمال مقبول . ولكن يمكننا التعرف على مورد آخر لأموال الزنجيلي .

فقد عرفنا أنه انتقل إلى الشام في زمن الملك العادل سيف الدين أبي بكر الأيوبي (ت615هـ/1218م) (30). وكان مقرباً منه ، بل كان يشرف على تربية ابنه (31). وهذا الموقع يؤهله للحصول على عوائد مالية مقابل عمله ذاك . فإذا ما ألحقنا بهذا ما ورد من أنه كان متولياً للقدس الشريف عام 597هـ/1201م (32)، فإن هذا هو الآخر سيكون مصدراً لما يتحصله من مال . كل هذا يؤكد أن موارده المالية كانت متعددة ، ساريت النماء ، ومن ثم ستعطيه القدرة على ممارسته ما يريده من الأوقاف ، لأنه أوقف وهو في الشام أوقافاً في عدن، وأسند الإشراف عليها إلى قاضي دمشق (33) مما يدل على وفرة أمواله.

2.4. قضية تاريخ وفاته :

أما تاريخ وفاته ففيه اضطراب ويحتاج إلى وقفة .. فقد نقل عن ابن شاکر الكتبي (ت764هـ/1363م) بأنه توفي عام 583هـ/1187م ، ونقل عنه المؤرخون من بعده هذا التاريخ ، بينما من سبقه مثل ابن سمرة (ت586هـ/1190م) لم يذكر تاريخ وفاته

وكذلك الجندي (ت732هـ/1331م) الذي يقول: "لم أتحقق مآله إلى ماذا" (34). وحتى تقي الدين الفاسي (ت832هـ/1428م) (35) ذكر تاريخ وفاته عن ابن شاکر وعلق عليه بقوله: "وفيه نظر" وتعقبه فؤاد سيد محقق كتاب (العقد الثمين) فعقب على تلك العبارة بقوله: "وبمراجعة عيون التواريخ لابن شاکر وجد أن هذه السنة ناقصة من نسخة دارالكتب، ولم يترجم له ابن شاکر في فوات الوفيات".

وهكذا فكل من حدد تاريخ وفاته بـ 583هـ/1187م كالخزرجي (ت812هـ/1409م) والنعيمي (ت927هـ/1520م) وبامخرمة (ت547هـ/1540م) وغيرهم نقلوا ذلك التاريخ عن ابن شاکر الکتبي، ولكننا عثرنا على معلومات أخرى يمكننا أن نقودنا إلى تاريخ للوفاة غير ما ذكر منسوباً إلى ابن شاکر الکتبي، منها ما ذكر في القضية السابقة من أنه كان متولياً على القدس سنة 597هـ/1201م، وأنه كان مشرفاً على تربيته الأشرف موسى الأيوبي، مع العلم أن استرداد بيت المقدس كان في عام 583هـ/1187م.. فكيف يكون مقيماً في القدس الشريف قبل فتحه؟ ويموت في السنة نفسها؟ بل إن الاحتمال الأقوى أن الزنجيلي كان أحد من شارك في معركة حطين (36) (سنة 583هـ/1187م) وشارك في فتح بيت المقدس في العام نفسه، وهذا يعني أن الزنجيلي توفي متأخراً، وزيادة على ما سبق يذكر النعيمي (37) أن الزنجيلي استقر في الشام في زمن الملك العادل سيف الدين أبي بكر، الذي حكم بين عامي (596-615هـ/1200-1218م).

ومما يرجح ذلك ما أكده النعيمي (38) نفسه أن مدرسة الزنجيلي في دمشق أنشأها سنة 626هـ/1228م. فكل هذه الأدلة تثبت أن التاريخ الذي ذكره بعض المؤرخين لوفاة الزنجيلي وهو 583هـ/1187م ليس صحيحاً، وأن تاريخ إنشاء مدرسته ليس مشكوكاً فيه، بل لعله هو الصحيح. ومن المرجح أنه في أثناء رعايته للأشرف موسى بن العادل، أنشأ المدرسة، وأوقف لها الأوقاف. وتكون وفاته - بناءً على تلك الأدلة - بعد سنة 626هـ/1228م لأنه دفن في تربة مدرسته (39) ولن تكون تربة للمدرسة إلا بعد بنائها.

3. إدارة عثمان الزنجيلي لعدن:

إمارة (عدن) في عهد بني أيوب لم تكن تطلق على الميناء أو المدينة فحسب، بل كانت تمتد من المخا غرباً حتى حضرموت شرقاً، لأن المؤرخين حينما يذكرون إمارة عثمان الزنجيلي على عدن يضيفون كلمته وما ناهجها، أو كان نائباً في عدن وأعمالها (40)، ومن ضمن أعمالها لحج وأبين وشبوة وحضرموت والشحر (41)، وهذا يؤكد غزو الزنجيلي لحضرموت حتى يبسط سلطانه على ما تحت يده كما سيأتي، وقد أديرت إمارة عدن إدارة سياسية ومالية في ظل قيادة الزنجيلي الذي يمثل الدولة الأيوبية، وأرسى في مدة ولايته على عدن قواعد إدارية وسياسية ومالية من المعتد أن نشير إلى ما توفر منها لأنها صارت جزءاً من تاريخ إمارة عدن..

3.1. أولاً: الإدارة السياسية:

فقد مرت إدارة عدن منذ أن قدم شمس الدولة توران شاه في عدة أطوار:
الطور الأول: طور بسط توران شاه على اليمن وكانت حوالي سنة وسبعة أشهر من ذي القعدة 569هـ إلى رجب 571هـ:

لسنا في حاجة هنا للحديث عن أسباب حملة توران شاه إلى اليمن لأن مكانها ليس هنا، إلا أنه من البدايات أن صلاح الدين الذي كان يحكم باسم نور الدين محمود لا يمكن أن يقدم على أمر كهذا إلا بعد أخذ الرأي من السلطان محمود زنكي مهما قيل من

أسباب أخرى ، ولهذا نجد ابن تغري بَرْدِي⁽⁴²⁾ يذكر أن " صلاح الدين كتب لنورالدين يستأذنه في إنفاذ جيش إلى اليمن فأذن له ، فبعث أخاه شمس الدولة توران شاه فسار إليها " هكذا دون ذكر أي سبب آخر مما يدل على أن هذا أمرٌ بدهي . المهم لقد بدأت حملة توران شاه بدخوله اليمن من ناحية زيد يوم الاثنين 9 شوال 569هـ/1173م ، وبعد خضوعها له والانتهاه من بقايا دولة بني مهدي سار نحو الجند فأخذها ، وأخذ حصن تعز المعروف اليوم بالقاهرة ، ولكن أهل جبل صبر ، وأهل تعز لم يدينوا له بسهولة ، فتركهم وسار نحو عدن فدخلها يوم الجمعة 18 أو 19 من ذي القعدة 569هـ/1173م وتمكن من القبض على أولاد الداعي عمران بن محمد بن سبأ وهم بقية الدولة الزريعية الذين كانوا يدينون بالولاء للعبيديين الاسماعيلية وكان عليها ياسر بن بلال المحمدي أميراً من قبل آل زريع ، فأخذه أسيراً ، وأراد الجند نهب البلاد فمنعهم شمس الدولة توران شاه " وقال : ما جئنا لنخرب البلاد وإنما جئنا لنملكها ونعمرها ونتفح بدخلها ، فلم ينهب أحد منها شيئاً ، فبقيت على حالها ، وثبت ملكه واستقر أمره"⁽⁴³⁾ وأصبحت عدن خاضعة له فأقام بها أياماً ، وبالتأكيد ما كان توران شاه ينتقل من منطقة إلى أخرى حتى يعين عليها أميراً ، ويترك حاميته معه ، ولم تعرفنا المصادر بالشخص الذي تركه على عدن حينما ارتحل عنها ، إلا أن معلومة وردت بأن توران شاه قبل أن يتجه إلى صنعاء وصل زحفه حتى حضرموت واستتاب بها رجالاً كردياً يسمى هارون ، فاتخذ هذا من مدينة شبام حضرموت مقراً له⁽⁴⁴⁾ ، فهل كانت إمارة هارون هذا تشمل عدن ؟ أم أن أميراً آخر تولى عدن ؟ .. إن المصادر لا تفصح عن شيء من هذا ، وعلى كل فإن توران شاه واصل سيره نحو صنعاء فأخذ في طريقه يبسط سلطانه على مخلاف جعفر (اب والعددين حالياً) ونقيل صيد (سُمارة) ثم (ظروان) أو (ذروان) و (ذمار) ثم افتتح صنعاء في 17 محرر من سنة 570هـ/1174م وأقام بها شهراً بصفته عاصمة اليمن ، ثم رجع إلى الجند وتمكن من السيطرة على حصن صبر ، وبذلك بسط سلطانه على اليمن كلها⁽⁴⁵⁾ ، فأقام " قواعد البلاد وحسم مواد الفساد " وسمع القصائد المادحة له⁽⁴⁶⁾ بعد أن " أحسن إلى أهل البلاد واستصفي طاعتهم بالعدل والإحسان ، وعادت زيد إلى أحسن أحوالها من العمارة والأمن"⁽⁴⁷⁾ .

الطور الثاني : بعد رحيل توران شاه عن اليمن وقبل وفاته ، وهي زمنياً حوالي ثلاث سنوات : فمن المؤكد أن عثمان الزنجيلي كان مع توران شاه في كل تحركاته ، وفي زيد حينما قرر الرحيل إلى الشام ؛ لأن الزنجيلي كان من كبار الأمراء المُقدِّمين عند توران شاه⁽⁴⁸⁾ . وفي شهر رجب من عام 571هـ/1175م قرر توران شاه العودة إلى الشام بعد أخذ الموافقة من أخيه صلاح الدين ، وكانت خطته وضع نواب له عن اليمن ، ولذلك فقد قسمها إلى أربع مناطق (زيد ، عدن ، تعز ، جبلت) وجعل على كل منطقة أميراً بصفته مازال⁽⁴⁹⁾ هو أمير اليمن المسئول أمام أخيه السلطان صلاح الدين ، والنواب هؤلاء يكونون مسئولين أمام توران شاه ، فكان الزنجيلي أحد الأمراء الأربعة ، وظل أميراً على عدن يحمل خراج جهته المتولي عليها إلى الأمير توران شاه مثله مثل بقية الأمراء⁽⁵⁰⁾ . وقد وردت رواية⁽⁵¹⁾ بأن توران شاه عين على زيد سيف الدولة مبارك بن منقذ ، وعز الدين عثمان الزنجيلي على باقي البلاد ، ولو صحَّت هذه الرواية فمعنى هذا أن الزنجيلي كان يُعد أكبر قواد توران شاه .

الطور الثالث : إرسال أمير من قبل صلاح الدين ليكون أميراً عاماً على اليمن: رغم أن اليمن ظلَّت تحت سلطة توران شاه إلا أن صلاح الدين أرسل إلى اليمن المقدم صارم الدين خطلبا بن موسى ، وكان أحد القادة المقربين منه ، فقد كان متولي القاهرة والضيوم⁽⁵²⁾

. أرسله صلاح الدين على رأس حملة بحرية لعله أراد بذلك أن يُشعر الأمراء بالارتباط المركزي ، وقد وصلت الحملة أولاً إلى عدن متقوية بعثمان الزنجيلي ، ثم زحف خطبها إلى زييد وتمكن من بسط سلطانه عليها سنة 574هـ/1178م ، ويبدو أن عثمان الزنجيلي عاد إلى عدن أميراً عليها ، ولكن خطبها مرض ، ولما أدرك بقرب أجله سلم الإمارة لخطان الذي كان منحازاً في قلعة قوارير غير موالٍ لخطبها ، فغضب الزنجيلي من هذا التصرف ، فسار بجيشه واصطدم بخطان إلا إنه لم يحقق انتصاراً عليه⁽⁵³⁾ ، ولعل هذا الطور كان في الوقت الذي كان في توران شاه مريضاً في الإسكندرية ، لأنه لم يدم أكثر من سنة منذ أن وصل خطبها إلى أن مات ، فقد مات هو وتوران شاه في عام واحد وهو عام 576هـ/1180م ، وفي هذا الطور كما يبدو كان تحرك الزنجيلي في مناطق حضرموت لبسط سلطانه عليها .

ولابد من وقفة هنا حول دخوله حضرموت سنة 575هـ/1179م فقد قيل بأنه من الذين سعوا في الأرض فساداً⁽⁵⁴⁾ . وأنه قتل فقهاء من فقهاءهم⁽⁵⁵⁾ . بأنه من خلال مراجعة سيرة الرجل ، يتسرب إلى الباحث الشك بنسبة كبيرة فيما نسب إلى الزنجيلي من إفساد . فقد أورد أبو شامة⁽⁵⁶⁾ أن توران شاه نفسه توجه إلى حضرموت ففتحها واستتاب عنه بها رجلاً كردياً يسمى هارون ، ثم بعد مدة تحرك هارون هذا وجمع وقتل وعاث في البلاد .. فهذه الإشارة من أبي شامة تدل على أن فتنة حصلت في حضرموت فكان من البدايات أن يتحرك عثمان الزنجيلي لإنهاء تلك الفتنة التي قام بها أمير حضرموت وليست ضد فقهاء حضرموت .. وان كان قد قتل من قتل - حسب ما ورد عند ابن سمره - فالعله كان بسبب ما حصل منهم من وقوف ضد سلطانه . مع العلم أنه عرف من سيرته عموماً بأنه كان يرفع الفقهاء ، ويُقيم لهم المدارس ، ويوقف لهم الأوقاف . وهذا يتناقض مع ما قيل من قتله للفقهاء .. والدليل على هذا أن ابن سمره نفسه - الذي ينسب إليه ما قيل في عثمان الزنجيلي - يذكر أبا بكر أحد فقهاء حضرموت المعاصرين للزنجيلي . الذي لقيه ابن سمره في عدن حينما دخلها سنة 581هـ/1185م بعد خروج الزنجيلي من عدن .. وكان يدرس فيها ويأتيه المتعلمون ليتعلموا منه⁽⁵⁷⁾ . فهذا من علماء تريم⁽⁵⁸⁾ وصار من علماء عدن وفي ظل إمارة الزنجيلي .. فكيف يقال بأن الزنجيلي قتل فقهاء حضرموت على الإطلاق دون تحرر؟ ..

ولا يتصور المرء هذا التناقض بين ما قيل عنه من أنه ممن سعوا في الأرض فساداً ، وبين ما فعله من نشاط خيري متعدد الأغراض ليس في بلده فقط ، بل في بلدان متعددة . وهذا الفعل الخيري لا يعطي أي إشارة إلى أن يقال بأن ما فعله من قبيل الشهرة .. فالمصادر التي وصفته بأنه من المفسدين وصفته أيضاً بأن له مبرات كثيرة⁽⁵⁹⁾ . وهذا التناقض لا بد أن يزال بالقول بأن ما قام به في حضرموت لم يكن سوى العمل على استتباب الأمن وبسط سلطانه على ما تحت يده ، أو ما كان يرى أن في إمكانه ضم حضرموت إلى ولايته ولعل بعض الفقهاء وقف ضده موقفاً معادياً فتعرض ذلك البعض للمعاينة . ونتيجة لطبيعة البشر ، فقد سمع ابن سمره من الناس مبالغات فنقلها إلى كتابه دون دليل عليها بحوادث معينة لتدل على ما حصل .

ولمزيد من الإيضاح فإن حضرموت تعد جزءاً من إمارة عدن ، وكانت حضرموت تحكم قبل مجيء توران شاه من قبل ثلاث قوى في كل من الشحر وتريم وشباب حضرموت ، فأما شباب فكان فيها آل الدغار أو الدعار⁽⁶⁰⁾ ، وأما تريم فكان فيها آل قحطان ومنهم آل راشد الذين اصطدموا بالأيوبيين وأطلق الشاطري⁽⁶¹⁾ على حكمهم الدور

الراشدي ، وأما الشحر فكانت منطقة كبيرة تطل على الساحل الحضرمي ومدينتها الاسعي فكان فيها آل فارس من قبائل كندة⁽⁶²⁾ ، بينما آل الدغار وآل راشد من حمير . هذه القوى الثلاث كانت تتصارع فيما بينها ، فصار وضع حضرموت كوضع اليمن كله يعيش في اضطراب وفوضى ، فلما دخل توران شاه إلى اليمن كان لابد من بسط سلطانه على كل البلاد ، ومن ثم فإن وصوله إلى أطراف حضرموت أمر ليس مستبعداً كما ذكره أبو شامة⁽⁶³⁾ حيث اتخذ أميره الذي جعله هناك المسمى هارون الكردي من مدينة شبام مقراً لاستقراره ، ومن ثم فإن حملة الزنجيلي سنة 575هـ/1179م هي امتداد لما تم قبل ذلك مع توران شاه نفسه ، فهارون هذا - كما يبدو - لم يتمكن من إيجاد الاستقرار فعاش في البلاد فساداً في صراعه مع القوى الحضرمية ، ولم يحقق شيئاً بل كأنه صار يعمل لحسابه الخاص فخرج الزنجيلي على رأس حملة عسكرية من عدن ثم أحور ، ليبدأ أولاً بالشحر فاستولى عليها ثم زحف نحو الداخل إلى تريم وشبام ، ولم تكن هناك مقاومة شديدة⁽⁶⁴⁾ ، إلا أنه قبض على بعض أمرائهم ، وجعل على تلك البلاد أميراً من قبله ورجع إلى عدن⁽⁶⁵⁾ ، وفي السنة التالية قيل إنهم نقضوا ما كانوا عليه فرجع الزنجيلي فأكثر فيهم القتل⁽⁶⁶⁾ ، وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين⁽⁶⁷⁾ الحضارم أكدوا على أن هذه الحملة كانت بقيادة أخ لعثمان الزنجيلي يعرف باسم سويد أو الأسود ، وأنه هو الذي قام بقتل علماء وفقهاء من تريم لأنهم حرّضوا آل راشد ضد الزنجيلي ، فهذا الرأي قد لا يكون صحيحاً لأن آل راشد أعادهم الزنجيلي إلى حضرموت بعد حملته الأولى ليكونوا نواباً عنه⁽⁶⁸⁾ ، وهذا يعني أن الزنجيلي بتصرفه هذا يكون قد اتخذ سياسة جديدة لتهدئة التوتر في المنطقة وعكف على إعمار عدن .

الطور الرابع : بعد وفاة توران شاه .. وهذا الطور دام حوالي ثلاث سنوات من سنة 576هـ إلى سنة 579هـ :

فقد توفي توران شاه في شهر صفر من عام (576هـ/1180م) وقطع الأمراء المتولون لجهات اليمن ما كانوا يوصلونه من مال كل سنة ، - ومنهم الزنجيلي - وضرب كل واحد منهم سكتة (عملة) باسمه ، ومنع التعامل بغيرها ، وصارت الخطبة باسم كل أمير في منطقتة⁽⁶⁹⁾ ، وكانت هناك منافسة شديدة بين عثمان الزنجيلي من ناحية وحطّان أمير زبيد من ناحية أخرى ، وعلى الرغم من تمكن الزنجيلي من أخذ أملاك الأمير قيمان وهو الجند ومخلاف جعفر (اب والعدين حالياً) إلا أنه لم يجد مفعلاً من مراسلة صلاح الدين ليعرفه بأوضاع اليمن واختلالها ، وأشار عليه أن يرسل أميراً من قبله على اليمن ، وأن يكون من بعض أهله إليها⁽⁷⁰⁾ ولعله رأى أن لا انضباط للأوضاع إلا بهذا الحل .

الطور الخامس : مجيء سيف الإسلام طغتكين بن أيوب وخروج الزنجيلي من عدن ، حيث بدأ بدخول زبيد وأظهر لحطّان حسن الصحبة ، فأمن الرجل فطلب منه الإذن بالمسير إلى الشام فأذن له ، وبعد أن حمل أمواله وجاء لوداع سيف الإسلام إلا أن هذا أمر بالقبض عليه ، وجعله سجيناً في حصن تعز ثم خنق هناك⁽⁷¹⁾ ، ووجد الزنجيلي نفسه مضطراً إلى ترك عدن والتوجه نحو الشام في الوقت الذي كان فيه طغتكين يدك معاقل كل مناوئ له ، فأرسل وهو في حصن التعكر أميراً من قبله ليكون والياً على عدن يقال له ابن عين الزمان⁽⁷²⁾ .

وبهذا الإجراء انتهت ولاية الزنجيلي على عدن التي استمرت ثمان سنوات من رجب 571هـ إلى نهاية عام 579هـ .

3.2. ثانياً: الترتيبات الإدارية :

لم توضح لنا المصادر معلومات كافية عن الترتيبات الإدارية للزنجيلي في المناطق التي تحت يده ، ولكن من البدايات أنه كان يدير البلاد على ما كان سائداً في مناطق الدولة الإسلامية ، مقتدياً بالتوجيهات الإدارية الأيوبية التي كانت امتداداً للأوضاع الإدارية المعمول بها في مصر والشام .

وقد آمدنا ابن سمرة⁽⁷³⁾ بمعلومة قيمة من قاضي لحج منصور بن إبراهيم الموصلية ، فهو الذي عيّن على القضاء في هذه المنطقة واستمر طوال إمارته ، ولم يعرفنا ابن سمرة عن حياة هذا القاضي إلا أن كونه موصلية ، فكأنه كان من الموصل ، وكان ممن صحب توران شاه ورافق الزنجيلي إلى عدن ولعلمه جعله قاضياً على منطقة لحج .

وهذا الإجراء يشجعنا على القياس بأن الزنجيلي عيّن قضاة على المناطق التي كانت تحت سلطته ومنها عدن نفسها ، إلا أن المصادر بخلت علينا بأي معلومات ، ونعتقد أن الزنجيلي كما سيتضح من اهتمامه بالمنشآت التي سيتولاها كان واعياً لكلمات أميره توران شاه وهو يمنع نهب مدينة عدن قائلاً : " ما جئنا لنخرب البلاد وإنما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع بدخلها " ⁽⁷⁴⁾ ، فكان عثمان الزنجيلي مؤسس هذا الانتفاع من ثغر عدن ، ولا بد أن الانتفاع لن يحصل إلا بإدارة دقيقة وشاملة ، وإن لم نخبرنا المصادر بذلك ، إلا أن الأمان والاستقرار والإيرادات المالية الضخمة والاهتمام بمصالح الناس وما ينفعهم .. كل هذا دليل على وجود اهتمام إداري سليم .

ومن البدايات أن يكون الزنجيلي قد وضع أمراء على المناطق التي كانت تحت إمارته لكي يديروا البلاد باسم الزنجيلي ، ومما يؤيد هذا أن حصن التعكر كان عليه أمير من قبل الزنجيلي وهو أخوه عمر بن علي الزنجيلي⁽⁷⁵⁾ ، ووضع أمراء آخرين على الشحر وشبام وتريم وأبين ولحج⁽⁷⁶⁾ .. وغيرها .

3.3. ثالثاً: الإدارة المالية:

من المؤكد أن إمارة عدن كانت مواردها المالية تأتي من قبل فُرْصَة عدن ، وكان الصليحيون (الإسماعيليون) بحكم صلتههم بمصر قد اعتمدوا على فُرْصَة عدن للتواصل بين الطرفين ، ولذا أعدوه لاستقبال السفن التجارية بدلاً من ميناء زبيد الذي كان يخضع للدولة النجاشية أولاً ثم لبني مهدي ثانياً⁽⁷⁷⁾ .

ولذا عرفنا أن علي بن محمد الصليحي (ت 459هـ/1066م) بعد أن استولى على عدن رغب في زواج ابنة المكرم من الحرة سيدة بنت أحمد ، وبدلاً من إعطائها صداقاً نقدياً جعل لها صداقاً مستمراً يتمثل في إيرادات ميناء عدن ، حيث صارت تسلم لزوجته المكرم⁽⁷⁸⁾ ، ولما تمرد أمراء عدن عن ذلك غزاهم المكرم نفسه بعد أن تولى الملك بعد أبيه وأزاحهم وولى أمراء غيرهم عرفوا ببني زريع أو آل زريع ، وكان لهؤلاء دور كبير في وضع قواعد وقوانين عشور ميناء (فُرْصَة) عدن ، وقد عهد بنو زريع لتاجر يهودي من نهاوند لوضع تلك القواعد التي صارت نظاماً متبعاً وصفها ابن المجاور⁽⁷⁹⁾ بأنها مستمرة إلى يوم القيامة .

ومن المؤكد أن بني أيوب الذين حكموا عدن بعد آل زريع سَيَطَوَّرُون أو يضيفون قواعد جديدة لتنظيم عملية عشور التجارة في فُرْصَة عدن .

وبمراجعة قيمة عشور كل سلعة من السلع الواردة إلى الميناء⁽⁸⁰⁾ يتبين لنا ضخامة المال الذي يتحصل من هذا المصدر ، وهذا يفسر لنا الأعمال الإنشائية التي قام بها الزنجيلي في عدن ، فقد كانت الأموال الطائلة تساعده على تلك الإنشاءات ، ويفسر

أيضاً ما قاله ابن جبير⁽⁸¹⁾ من أنه كان معه الأموال الضخمة حينما رآه في مكتة في طريق عودته إلى الشام .

ويبدو أن التوجه العلمي المستنير للزنجيلي كان له دور في إلغاء وإبطال عادة وثنية كان يمارسها بعض التجار في عهد بني زريع في ميناء عدن عند تأخر البواخر إلى الميناء حيث كانوا يضحون ببقرة تسمى (ضحية الجبل) فإذا ما دُبحت البقرة قدمت البواخر ، ولكن هذه العادة الشركية أبطلت في عهد بني أيوب⁽⁸²⁾ .

وأما العملة المستخدمة في النظام المالي ما قبل عهد الزنجيلي في عدن فقد كانت هناك العملة الذهبية الصليحية التي كانت تُسك في صنعاء ، ولهذا تعرف بالذهب الصنعاني ، وكان الدينار المصري يقابل أربعة دنانير ونصف ملكي صليحي⁽⁸³⁾ .

ويبدو أن بني أيوب تعاملوا مع العملة المحلية أولاً ، ثم عممت العملة المصرية ، إلا أن نواب توران شاه بعد موته لجئوا إلى (سك) عملة لكل أمير في منطقته ، ومنع التعامل بأي عملة أخرى⁽⁸⁴⁾ ، وكما يبدو لم يكن هذا إلا بالنسبة للعملة الفضية لأن الدينار المصري صار هو المقياس الذي تقاس به أي عملة أخرى .

4 . المنشآت العمرانية في عهد الزنجيلي :

من المؤكد أن الزنجيلي كان مهتماً بعدن بحكم خبرته العسكرية ، ورغبته في تأمين عدن ، وإشاعة الاستقرار ، وإعمار المدينة ، ولتوفير المال لديه من فُرصة عدن . وقد ظهر هذا الاهتمام لدى الزنجيلي من خلال المنشآت التي نفذها في عهد إمارته ومنها منشآت تحصينية، ومنشآت علمية أو مبرات خيرية أو منشآت تجارية أو قصور للإمارة، وقرى سكنية صناعية. فكان للزنجيلي دور في إعمار عدن حتى قال عنه بامخرمة⁽⁸⁵⁾: "وعمرت عدن في زمنه" .

4.1 أولاً : المنشآت التحصينية :

من الحصون التي اهتم بها الزنجيلي حصن المفاليس⁽⁸⁶⁾ وهو الحصن المسمى حصن المصانع، وهو من الحصون المدافعة عن عدن نفسها، ولعل الزنجيلي لم يبذل الكثير لبنائه إلا أنه حصنه ، ولما جاء سيف الإسلام طفتكين عمل على بناء الحصن لأهميته . أما فُرصة عدن فقد كانت في بؤرة اهتمام الزنجيلي، حيث بذل جهداً كبيراً لتسويره ، وصرف أموالاً كبيرة لهذا الغرض .

فقد عمل بنو زريع على تسوير عدن ، وجاء الزنجيلي ليقوم بالتحصين الحقيقي لعدن ، ويجدر بنا أن نورد النص الذي ذكره ابن المجاور بصفته أول من وصف هذه التحصينات ، ثم نذكر نص بامخرمة للمقارنة والتحليل فيما بعد .. فأما ابن المجاور⁽⁸⁷⁾ فيقول : فأمر الداعي الزريعي (لعله محمد بن سبأ أو عمران بن سبأ)⁽⁸⁸⁾ " بعمد سور من الحصن الأخضر إلى جبل حقات ، فأدير سور ضعيف ، وارتدم بعضه على بعض ، واهتمد لدوام الموج عليه ، فلما خرب أدير عليه سوران من القصب مشبَّك ، وبقي على حاله إلى أن بناه أبو عثمان عمر بن عثمان بن علي الزنجيلي (هكذا) التكريتي ، دائراً على جبل المنظر إلى آخر جبل العرّ، وركب عليه باب حقات ، وأدار سوراً ثانياً على الجبل الأخضر ، وحدّه من حصن الأخضر إلى التعكر على رؤوس الجبال ، وأدار سوراً على الساحل من الصناعة إلى جبل حقات ، وركب عليه ستة أبواب : باب الصناعة (أو الصاغية) أو (الصباغية) ، وباب حومت (أو جومت) وباب السكتة (أو السيلمة أو السيل) وهما بابان يخرج منهما السيل إذا نزل الغيث بعدن ، وباب الفُرصة ، ومنه تدخل البضائع وتخرج ، وباب

مشرف لا يزال مفتوحاً للدخل والخرج (هكذا) ، وباب حيق لا يزال مغلقاً ، وباب البرّ قد تقدم ذكره . وبني سورها بالحجر والجص ، وبني الفُرْضَة وجعل لها بابين " .
أما المؤرخ الحضرمي العدني بامخرمة⁽⁸⁹⁾ فقد ذكر وصف السور والأبواب كما يأتي:
"فأدار الزنجيلي التكريتي سوراً دائراً على جبل المنظر إلى آخر جبل العرّ ، وركب عليه باب حُقَات ، وأدار سوراً ثانياً على جبل الخضراء (عند ابن المجاور الأخضر) ، وابتدأ به من حصن الخضراء إلى حصن التعكر على رؤوس الجبال ، وأدار سوراً ثالثاً على الساحل من لحف جبل الخضراء إلى جبل حُقَات ، وركب فيه ستة أبواب : باب الصباغة ، وباب حومت ، وباب السيلتة ، وهما اللذين يخرج منهما السيل إذا نزل الغيث بعدن ، وهو المعروف اليوم بباب مكسور، لأن السيل يكسره في كل دفعة ، وباب الفُرْضَة ومنه تدخل البضائع وتخرج ، وباب مشرق (مشرف) لا يزال مفتوحاً للدخل والخرج، وهو المعروف اليوم - في عهد المؤلف المتوفي 945هـ/1538م - بباب الساحل، وباب حيق لا يزال مغلقاً وهو المعروف اليوم بباب السرّ لا يفتح إلا عند مهمّ ، وهو اليوم ينفذ إلى حوش باب الدار (لم يحدد أي دار ولعله دار السعادة) ، وبني الزنجيلي أيضاً الفُرْضَة قبلي (أي شمال) دار السعادة ، وجعل لها بابين : باب إلى الساحل تدخل منه البضائع التي تعشر ، وباب إلى المدينة تخرج منه البضائع بعد أن تعشر ، والباب السادس بالقرب من الجبل المعروف بجبل التوبة قليلاً".

ولكي نشرح بعض مفردات النص علينا الرجوع إلى عاشق معالم عدن و(المحامي) عنها الدكتور أحمد رابضة⁽⁹⁰⁾ ، فقد فسر لنا بعض المسميات بشكل جيد حيث أنه تتبع السور كما وصفه ابن المجاور مقارنة بما رسمه البرتغاليون لمدينة عدن عام 917هـ/1512م وخلص إلى أن السور البحري قد اندثر بفعل عوامل كثيرة ، وبقيت بعض آثار السور الجبلي .

وقد رجح رابضة بحكم خبرته أن باب السكتة هو باب (السيلتة) لأنه يسيل منه ماء المطر وعده موضعاً معروفاً بعدن⁽⁹¹⁾ .

وأما جبل (العرّ) فهو جبل شمسان الحالي، وجبل التعكر هو جبل حديد الحالي⁽⁹²⁾ .
أما باب (البر) أي الذي يدخل منه إلى المدينة من جهة البر وليس من جهة البحر فقد حدده رابضة⁽⁹³⁾ أنه في شمال شرق مدينة عدن، وفي زقاق قبالة معهد الفنون الجميلة الواقع في شارع أروى بعدن بالذات. وأن هناك نفقين يطلق عليهما العامة : البُغدة الصغيرة والبُغدة الكبيرة وهما المعروفان تاريخياً بباب البر أو باب عدن وهو في الطريق المؤدية إلى باب الزيادة العقبة حالياً .

وأكد ابن المجاور⁽⁹⁴⁾ بأن الزنجيلي هو الذي شاد هذا الباب أثناء بنائه لأسوار عدن التاريخية البحرية والجبليّة .

4.2. ثانياً : المنشآت التجارية :

ومن المنشآت التي حرص الزنجيلي على إعمارها بشكل مقصود بناء أسواق تجارية تعرف بالقيصارية، وهي أسواق مسقوفة تضم عدة دكاكين ، فكان هو أقدم سوق مسقوف في عدن بناها الزنجيلي ، ولهذا وصفها ابن المجاور⁽⁹⁵⁾ بأنها القيصارية العتيقة، وبني دوراً من الحجر لسكنى التجار فصارت عدن مدينة مأهولة بأهلها ، وتستقبل التجار بأعداد كبيرة، حتى وصفها ابن المجاور⁽⁹⁶⁾ بأنها كالمحشر من كثرة ما يردّها من الناس، وتوطنتها جماعة من التجار والعلماء من كل فج ، وحضروا بها الآبار ، وبني بها المساجد ، وأقاموا بها المنابر⁽⁹⁷⁾ .

ولعل هذا العمل الإنشائي التجاري الذي قام به الزنجيلي كان لمواجهة احتياجات الناس التجارية المتزايدة نتيجة التوسع في الحركة التجارية ، فقد صارت عدن رابطاً تجارياً بين الهند والصين من جهة وبلاد الشام ومصر وأوروبا من جهة أخرى ، وصارت هذه المباني التجارية التي أنشأها الزنجيلي أساساً للتوسع العمراني التجاري في عدن عند الأمراء والدول التي توالى على حكم عدن .

4.3. ثالثاً : بناء القصور والمسكن :

وقد ارتبط ببناء الأسواق بناء القصور المطلّة على الميناء فقد بُني قصر المنظر على جبل حُقات على يد عثمان الزنجيلي⁽⁹⁸⁾ وكان يطل على البحر. وإن لم يصلنا وصف كامل لهذا القصر في عهد الزنجيلي إلا أنه كما يلاحظ صار أصلاً لقصر توسع فيه الأمراء من بعده زيادة ، وضخامة .

ومن خلال تحليلات الدكتور رابضة⁽⁹⁹⁾ فإن قصر المنظر كان بمثابة الحصن الذي يستخدم للدفاع إلا أنه كان مقراً للحكومة الأيوبية ، أو داراً للضيافة من ناحية ، والسكنى لرجال الدولة من ناحية أخرى ، ويطلق على حصن المنظر أيضاً حصن الخضراء كونه كان قريباً من جبل الخضراء أو (الأخضر) .. وقد اجتهد رابضة بمقارنات علمية ليحدد مكان حصن أو قصر الخضراء من السلسلة الجبلية المتصلة بجبل حديد (التعكر) . مستبعداً الرأي القائل من أنه المعاشيق حالياً رافضاً ذلك مدلاً عليه بوقائع حربية حصلت في المنطقة نفسها .

وحدد الدكتور رابضة⁽¹⁰⁰⁾ موقع جبل المنظر بأنه الجبل المقابل لجبل أو صخرة صيرة ، وأن قصر أو دار المنظر كان على هذا الجبل حيث شهد نشاطاً علمياً مكثفاً ، وحدد رابضة أيضاً ساحة حُقات من أنها على مقربة من جبل المنظر ، وكانت هذه الساحة مقراً لكثير من المعالم الأثرية المهمة كالمدارس .

4.4. رابعاً : إنشاء القرى الصناعية :

ومن ضمن ما اهتم به الزنجيلي أنه أمر بإنشاء قرية في موضع يقع بضواحي عدن يسمى اللُحْبَة على بعد فرسخين إلا ربع (حوالي 9 كم). وعرفت القرية باسم الموضع ، فصارت القرية عامرة بها دكاكين ومعاصر ، وبها جملة من الناس إضافة إلى جماعة من العرب كالأهدوب والعقارب وغيرهم ، وفي هذه القرية أنشئت مصانع الأجر والزجاج وكانت تتولى تلبية احتياجات عدن منها⁽¹⁰¹⁾ .

ويحتمل أن الزنجيلي أراد إيجاد مواد جديدة للبناء تتمثل بالأجر لتنافس الأحجار التي كانت تكلف كثيراً ، فأوجد هذه القرية الصناعية لتحقيق هذا المطلب .

4.5. خامساً : توفير الماء من خلال حفر الآبار :

ومن المنشآت التي اهتم بها الزنجيلي منشآت تتعلق بتوفير الماء لأهل عدن، فقد أشار ابن المجاور⁽¹⁰²⁾ إلى بئر المقدم، ولعلها نسبة إلى المقدم الزنجيلي فالمقدم لقب استعمله بنو أيوب وأطلقوه على بعض قياداتهم .

وبما أن الماء ضروري فقد تلازم توفيره مع بناء الدور والأسواق والدكاكين وكثرة الناس، فحضرت الآبار لتواكب احتياجات الناس من الماء⁽¹⁰³⁾ لأن الماء في عدن لا يتوفر إلا عن طريق الآبار والسدود (الصهاريج) التي تحتجز مياه الأمطار بين الجبال.

4.6. سادساً : بناء المساجد والمدارس :

كيفما يكون الولاية تكون الرعية ، وبمعنى آخر فإن الله ليَزَع بالسلطان ما لا يَزَع بالقرآن كما ورد في الأثر ، وهذه سنة اجتماعية ملحوظة ، ولكي نشاهد تطبيق هذه الظاهرة الاجتماعية ننظر إلى ما فعله الزنجيلي في عدن ، وكيف سار الرعية على منواله يفعلون ما يفعل . فقد كثر الناس في عدن وأقبلوا على الأعمار السكني والتجاري والمائي حتى أكثر الناس من ذلك.

وهنا في موضوع المساجد والمدارس أيضاً سارع الناس من ذوي المال أو الجاه أو العلم لبناء المساجد والمنابر⁽¹⁰⁴⁾.

ومما اشتهر عن الزنجيلي أنه بنى مسجداً بعدن جعل له أوقافاً كثيرة منها حان (خان) في باب البر⁽¹⁰⁵⁾ ويبدو أن هذا الخان الذي كان بمثابة بناء ينزل فيه المسافرين مقابل أجرة يدفعونه، يبدو أنه كان كبيراً ، وكان إيراده كبيراً لأن الواقف (الزنجيلي) نص على أنه يصرف على المسجد من إيراد الخان، وما زاد من ذلك يصرف على حرم مكة⁽¹⁰⁶⁾. أما بامخرمة⁽¹⁰⁷⁾ فقد أشار إلى وجود مسجد بعدن بناه الزنجيلي، وهذا يدل على أنه كان موجوداً في القرن العاشر الهجري، ثم أشار إلى أن الزنجيلي أوقف على المسجد (الخان) الذي بعدن، هكذا بتعريف الخان مما يدل على شهرته في عصره، وقد أكد بامخرمة⁽¹⁰⁸⁾ على أن الوقف كان وقفاً جزيلاً ، وما دام للمسجد أوقاف كثيرة فإنه سيظل قائماً ، محافظاً عليه من خلال المورد المالي المرصود لصيانته.

وهذا المسجد وإن لم يتبق لنا من مآثره ما يسعنا للحديث عنه إلا أنه كان ذا حظوة وعناية من قبل الأمير ومن بعده⁽¹⁰⁹⁾.

وهذا يقودنا إلى القول بأن المسجد بهذا الاهتمام كان له استمرارية فيما بعد ، وإن اكتنف الغموض مصيره إلا أن الإشارة التي لفت إليها عاشق معالم عدن⁽¹¹⁰⁾ بأن منارة عدن كانت مبنية بطريقة فريدة تعود إلى العصر السلجوقي في اليمن ، فإن هذه الإشارة توحى بعلاقة هذا الأثر بالزنجيلي لأنه من المؤكد أن أول من نقل الفن المعماري السلجوقي إلى عدن هو عثمان الزنجيلي بصفته أميراً من أمراء الدولة الأيوبية ، التي تُعد امتداداً للدولة الزنكية ، التي خلقت الدولة السلجوقية بكل مآثرها العلمية والعمرانية والسياسية.

فمن المحتمل أن بناء المسجد الذي عُد مدرسة نُسبت إلى الزنجيلي في عدن ، قد أنشئت على غرار المساجد أو المدارس المتضمنة مسجداً في تلك العهود ، ولعل ما يدعى هذا أن للزنجيلي مدرسة في الشام كانت تضم مسجداً ومرفقات حيوية مهمة⁽¹¹¹⁾ . فهل

سعى الزنجيلي لجعل مدرسته أو جامعته في عدن مثل المدرسة التي بناها في دمشق؟

ليس لدينا ما يدل ذلك ولكن الخلفية التصورية لكيفية المدارس والمساجد في عصره ومكانه الذي جاء منه من الشام ومصر لعله دفعه إلى جعل مدرسته أو مسجده في عدن مثل ما عهده في مصر والشام .

ومما يرجح أن مسجد الزنجيلي في عدن كان أيضاً مدرسة أنه أنشأ مدرسة ورباطاً في مكة ووقف عليهما أوقافاً كانت في عدن، وتتمثل في عقارات ودكاكين ودوراً ، وصارت تصرف إيراداتها على المدرسة والرباط والسبيل الذي أمر بإقامته في مكة خارج باب الشبيكة المتجه من الحرم صوب طريق التنعيم على يمين المار إلى باب العمرة⁽¹¹²⁾ .

ويبدو أن الزنجيلي لما مر على مكة في طريقه إلى الشام سنة 579هـ/1183م أو بعد وصوله الشام أمر ببناء المدرسة والرباط والسبيل في مكة ، إلا أن الأوقاف التي حددت في عدن على الحرم والمدرسة تدل على أن تلك المنشآت كانت قبل خروجه من عدن ،

لأن ابن المجاور⁽¹¹³⁾ يقول : " وأوقف ابن الزنجيلي (هكذا) جميع الأملاك على مكتة سنة 575هـ " وهذا يعني أنه قبل خروجه من عدن بنحو أربع سنوات .

وبما أن الأوقاف تحتاج إلى إدارة فقد جعل إدارتها إلى قاضي دمشق وهذا بدوره أسنده إلى قاضي مكتة ، وهذا أيضاً أسنده إلى قاضي عدن⁽¹¹⁴⁾ ، وكل هذه المناطق تابعت للإدارة الأيوبية ، وهذا الإجراء يدل على أن الزنجيلي لم تصدر أمواله في عدن ، وأنه جعلها أوقافاً للمسجد في عدن ، ثم للمسجد الحرام وللمدرسة والرباط والسبيل في مكتة فصان هذه الأموال من المصادرة إن كانت هناك رغبة في المصادرة، إلا أن المصادر لا تفيدها بأي تصرف من قبل سيف الإسلام ضد أملاك الزنجيلي في عدن، بل لقد أديرت من قبل قاضي عدن ليصرف إيراداتها في المصارف المحددة من قبل الواقف .

5. النتائج :

تخلص هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج .. منها :

1. أن الحقيقة التاريخية تظل غائبة أو مغيبة وراء سُجف كثيفة من التجزئ، والتشتيت، والأهواء، ووضعها في غير مظانها، وتناثرها بين الحدث التاريخي، والترجمة الشخصية، والقطعة النثرية الأدبية ، والنادرة الطريفة .. ومن ثم فإن الباحث يظل يلهث وراء المعلومات من مكان إلى آخر لكي يثبت الحقيقة التاريخية، وقد يصل وقد لا يصل .. وأكبر مثال على هذا ما قلناه في هذه الدراسة حول شخصية الزنجيلي الذي كان المؤرخ الجندي معجباً به، وبأعماله الخيرة، وإذا به ينقلب عليه لما سمعه عنه، ومن ثم غير موقفه دون اللجوء إلى تمحيص ما سمع .
2. يتبين من هذه الدراسة أن الزنجيلي ليس هو ذاك الأمير الذي عاث في الأرض فساداً، وإن لم يكن ملاكاً .. وإنما هو أمير سعى بما في وسعه لإيجاد الاستقرار، وإيجاد مدينة عدن المعمورة بشتى صور العمران .
3. أن السنوات الثمان التي قضاها الزنجيلي في عدن أنشأ فيها منشآت ضخمة لا تقارن بالزمن الذي استغرق حكمه لعدن .

6. التوصيات :

يوصي الباحث بما يأتي :

1. إنني أضم صوتي لصوت الدكتور/ أحمد رابضة للمطالبة بالتنقيب عن الآثار الإسلامية لتصحيح الأحداث لا لتشويهها، أو تحويلها إلى مسارات غير مساراتها.
2. المحافظة على المعالم الأثرية حتى تدرس، وحتى لو حصل توسع عمراني فلا تكون على حساب الآثار التي تساعد على دراسة الوقائع التاريخية .
3. أن تعمل الجامعات اليمنية على تشجيع الطلاب لإعادة دراسة الحقب التاريخية برؤية مجردة لا تعتمد على الإلغاء ، والإلحاق ، والإلواء نحو توجهات أخرى .

المصادر والمراجع

1. ابن الأثير . أبو الحسن عز الدين علي (ت 630هـ/1232م) ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، ودار بيروت ، 1965م .
2. استانلي لين بول، تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ترجمة وإضافة : د. أحمد السعيد سليمان ، دار المعارف بمصر .
3. أكرم حسن العلي، خطط دمشق ، دراسة تاريخية شاملة على مدى ألف عام من سنة 400هـ حتى سنة 1400هـ لدور القرآن والحديث والمدارس والبيمارستانات والجوامع الكبرى والخوانق والربط والزوايا والأسواق والخانات والحمامات والدروب، ط الأولى 1400هـ/1989م ، دار الطباع ، دمشق .

4. البلادي . عاتق بن غيث، معالم مکتة التاريخيّة والأثرية، ط2 ، 1403هـ/1983م، دارمکتة.
5. ابن تغري بَرْدِي . جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت 874هـ/1469م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر .
6. ابن جبیر . أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبیر الأندلسي (ت 614هـ / 1217م) ، رحلة ابن جبیر ، دارصادر ، داربيروت 1384هـ / 1964م .
7. الجندي ، أبو عبد الله بها الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي (ت 732هـ / 1331م) ، السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق / محمد بن علي الأكوع الحوالي ، وزارة الإعلام والثقافة- صنعاء ، 1409هـ / 1989م
8. ابن حاتم . بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران الیامي الهمداني، السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الفز باليمن ، تحقيق / ركس سمیث ، جامعة کمبردج .
9. الخزرجي ، أبو الحسن علي بن أبي بكر (ت 812هـ / 1409م) ، العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ، وزارة الإعلام ، صنعاء (تصويراً للمخطوطتة) دارالفکر ، دمشق .
10. ابن خلکان ، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ / 1281م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق / د. إحسان عباس ، دارالثقافة ، بيروت ، 1 / 309
11. رابضتة . أحمد صالح، معالم عدن التاريخية . مركز الدراسات والبحوث الیمني والمركز الفرنسي للدراسات الیمنية . ط الأولى 1420هـ/1999م ، اليمن ، صنعاء .
12. السقاف . عبد الرحمن بن عبید الله، معجم بلدان حضرموت المسمى إدار القوت في ذکر بلدان حضرموت . تحقيق / إبراهيم أحمد المقحفي وعبد الرحمن حسن السقاف . ط الأولى 1423هـ/2002م . مکتبة الإرشاد . صنعاء .
13. ابن سمرة الجعدي ، عمر بن علي (ت بعد 586هـ / 1189م) ، طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق / فؤاد سيد ، مطبعتة السنة المحمدية ، القاهرة ، 1957م .
14. الشاطري . محمد بن أحمد بن عمر، أدوار التاريخ الحضرمي . مطابع دارالکتاب ، بيروت 1381هـ/1962م .
15. شاکر مصطفى، فلسطين ما بين العهدين الفاطمي والأيوبي ، الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - الدراسات الخاصة ، المجلد الثاني ، الدراسات التاريخية ، ط الأولى 1990م ، بيروت .
16. أبو شامة . شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الشافعي (ت665هـ/1267م) ، الروضتين في أخبار الدولتين . دارالجيل . بيروت .
17. الشمري . محمد كريم، عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية، ط الثانية 2004م ، جامعة عدن - عدن ، اليمن .
18. صالح بن علي الحامد ، تاريخ حضرموت ، بيروت 1968م .
19. العامري، يحيى ابن أبي بكر بن محمد بن يحيى بن حسين العامري الحرصي الیمني (ت893هـ /1488م)، غريال الزمان في وفيات الأعيان ، تصحيح / محمد ناجي زعبي العمر ، إشراف القاضي / عبد الرحمن بن يحيى الیراني ، دارالخبر للنشر والتوزيع ، دمشق 1405هـ / 1985م .
20. ابن عبد المجید . تاج الدين عبد الباقي (ت 743هـ/1342م) ، بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق / عبد الله محمد الحبشي ومحمد أحمد السناني ، ط الأولى 1408هـ/1988م ، دارالحکمة الیمنية ، صنعاء .
21. عطية الله . أحمد ، قاموس الإسلامی ، مکتبة النهضة ، القاهرة ، بدأت بالطباعة سنة 1963م .
22. العلموي . عبد الباسط بن موسى بن محمد العلموي (ت 981هـ/1573م) ، مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس تحقيق / صلاح الدين المنجد ، منشورات مديرية الآثار القديمة العامة ، 1366هـ/1947 ، دمشق .
23. باغوث خالد سعيد محمد ، الدرر الثمينة في تاريخ مساجد تريم ومعالمها القديمة ، ط الأولى 1431هـ/2010م ، مركز النور للدراسات والأبحاث ، حضرموت ، اليمن .
24. الفاسي . تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت 832هـ/1428م) ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق / فؤاد سيد ، مؤسسة الرسالتة ، بيروت .

25. ابن كثير ، إسماعيل بن عمر (ت 774 هـ / 1372 م) ، البدايت والنهائيت ، ط2 ، 1394 هـ / 1974 م ، مكتبة المعارف ، بيروت .
26. كرد علي . محمد (ت 1373 هـ / 1953 م) ، خطط الشام ، دارالعلم للملايين ، بيروت .
27. ابن المجاور . جمال الدين أبو الفتوح يوسف بن يعقوب الشيباني الدمشقي (ت690هـ/1291م) ، تاريخ المستبصر ويسمى صفته بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، ضبط وتصحيح / أوسكر لونغرين ، مطبعة برييل ، ليدن ، هولندا 1951 م .
28. محمد يسلم عبد النور، الحياة العلمية في تريم في القرن العاشر الهجري ، ط الأولى 1431 هـ/2010 م ، تريم للدراسات والنشر ، تريم ، اليمن .
29. بامخرمة ، أبو محمد عبد الله الطيب (ت 947 هـ / 1540 م) ، تاريخ ثغر عدن ، مطبعة برييل ، ليدن ، هولندا ، 1936 م .
- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، تحقيق / عبد الغني الأهجري ، وعبد الرحمن محمد جيلان صغير ، ومحمد يسلم عبد النور ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، 1425 هـ/2004 م .
30. النعيمي . عبد القادر بن محمد (ت 978 هـ / 1503 م) ، الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق / جعفر الحسني ، المجمع العلمي العربي ، دمشق ، 1367 هـ / 1948 م .
31. باوزير . سعيد عوض بن طاهر، صفحات من التاريخ الحضري ، المطبعة السلفية ، القاهرة 1378 هـ/1959 م .
32. يحيى بن الحسين بن القاسم (ت 1100 هـ / 1689 م) ، غاية الأمان في أخبار القطر اليماني ، تحقيق / د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار الكاتب العربي ، القاهرة 1388 هـ/1968 م .

الحواشي

- (1) بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 131/2 .
- (2) السلوك 533/1 .
- (3) النعيمي . الدارس في تاريخ المدارس 526/1 .
- (4) تاريخ المستبصر 128 .
- (5) أسد الدين شيركوه (أسد الجبل) بن شاذي أخو نجم الدين أيوب كان مع أخيه في تكريت نواباً عن والي بغداد السلجوقي ، ثم انتقلا إلى العمل تحت إمرة عماد الدين زنكي ، ثم ابنه محمود ، وقد أرسل إلى مصر وصار بعدها وزير العاضد الفاطمي ، وبعد أيام توفي في 17 ربيع الآخر 564 هـ/مارس 1169 م ، ودفن بالقاهرة ، ثم نُقل إلى المدينة (أحمد عطية الله . القاموس الإسلامي 213/4 ، 214) .
- (6) صلاح الدين يوسف بن أيوب مؤسس الدولة الأيوبية في مصر والشام واليمن والحجاز وشمال العراق ، ولد بتكريت عام 532 هـ/1137 م (صحب أباه تحت ولاية زنكي ثم ابنه محمود ، ثم صحب عمه إلى مصر ، وبعد وفاة عمه ولأه العاضد وزارة مصر 564 هـ/1169 م ، وبعد وفاة السلطان محمود زنكي صار صلاح الدين هو السلطان الذي بسط سلطانه على مصر والشام ، وانتصر على الصليبيين في حطين (25 ربيع الثاني 583 هـ / 4 يوليو 1187 م) ودخل صلاح الدين بيت المقدس يوم الجمعة 27 رجب 583 هـ / 12 أكتوبر 1187 م ، وبعد صراع مرير مع الصليبيين استقر في دمشق إلى أن توفي في 26 صفر 589 هـ / 3 مارس 1194 م وله من العمر 57 سنة (أحمد عطية الله . القاموس الإسلامي 305/4 - 311) .
- (7) توران شاه : لفظ أعجمي مركب : توران : المشرق ، وشاه : ملك . ومعناها : ملك المشرق فصار اسماً للأخ الأكبر لصلاح الدين (ابن خلكان . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان 1 / 309) وكان من أجود الناس وأسخاهم كفاً يخرج كل ما يحمل إليه من أموال اليمن .. ومات وعليه مائتي ألف دينار ديناً فوفاه عنه أخوه صلاح الدين وتوفي بالإسكندرية (سنة 576 هـ / 1180 م) . (ابن الأثير . الكامل في التاريخ 11 / 468 ، 469 - العامري . غريال الزمان في وفيات الأعيان 459) . ولقب بالملك المعظم (الخزرجي . العسجد المسبوك 146 - وانظر: عطية الله . أحمد ، القاموس الإسلامي 508/1) .

- (8) جاء في وصف الحملة بأن صلاح الدين أصحب أخاه جماعة من الأمراء ومقدار ألف فارس (أبو شامة . الروضتين (217/1) .
- (9) الخزرجي . العسجد 152 ، 156 ، 157 .
- (10) تاريخ ثغر عدن 38/2 ، 132 ، قلادة النحر 2507/2 .
- (11) طغتكين بن أيوب الملك العزيز أبو الفوارس ظهير الدين سيف الإسلام ، أخو صلاح الدين ولاء على اليمن عام 579هـ/1184م فسار إليها ودانت له اليمن وهو الذي منع في مكة قولهم (حي على خير العمل) ، توفي باليمن عام 593هـ/1197م (أحمد عطية الله . القاموس الإسلامي 512/4) .
- (12) الجندي . السلوك 527/2 - ابن الأثير . الكامل 480/11 .
- (13) الجندي . السلوك 526/2 - الخزرجي . العسجد 157 .
- (14) ابن كثير . البداية والنهاية 309/12 .
- (15) الرحلة 148 ، 149 .
- (16) انظر : الفاسي . العقد الثمين 34/6 . والتنعيم أقرب الحل إلى المسجد الحرام حيث يقع على قرابة ستة كيلومترات شمالاً من المسجد الحرام على طريق المدينة (البلادي . معالم مكة التاريخية والأثرية 50 ، 51 .)
- (17) ابن عبد المجيد . بهجة الزمن 132 ، 133 .
- (18) الروضتين 26/2 .
- (19) ابن الأثير ، الكامل 480/11 .
- (20) بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 131/2 .
- (21) ابن كثير . البداية والنهاية 147/13 .
- (22) لعل الاسم حصل فيه لبس من قبل النساخ فهو التجاري والزنجاري . والزنجيلي ، ولم يكن البخاري إلا عند ابن كثير .
- (23) شاعر مصطفى . فلسطين ما بين العهدين الفاطمي والأيوبي 494/2 . ويقصد بقبة المعراج .. هي قبة الصخرة .
- (24) العلمي . مختصر تنبيه الطالب 91 .
- (25) العادل هو سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين رابع سلاطين الأيوبيّة عمراً ستاً وسبعين سنة ، فتولى حكم مصر والشام وعلى السياسة التي قام عليها أخوه صلاح الدين (انظر ترجمته عند : عطية الله . القاموس الإسلامي 10/5 - 12 .. واستانلي لين بول ، تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة 144) .
- (26) الأشرف موسى بن العادل بن أيوب كان من الملوك الأيوبيين الذين حكموا دمشق وله الكثير من الصدقات والمبرات وقد توفي في شهر المحرم 635هـ / أغسطس 1237م (انظر : ابن كثير . البداية والنهاية 147/13) .
- (27) يسمى الوقف الأهلي أو الذري وقفاً خاصاً وهو : التي جعل واقفوها حق الاستمتاع بريعتها إلى وارثيهم مباشرة ، بينما الوقف الخيري فيسمى الوقف العام وهو : ما جعل عينه وريعه بدون قيد ولا شرط وقفاً على أعمال الخير والبر ، أو على المصالح العامة (كرد علي . خطط الشام 94/5) .
- (28) بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 132 .
- (29) ابن جبير . رحلت ابن جبير 149 .
- (30) النعمي . الدارس 527 .
- (31) ابن كثير . البداية والنهاية 147/13 .
- (32) شاعر مصطفى . فلسطين ما بين العهدين . الموسوعة الفلسطينية 494/2 .
- (33) بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 131/2 .
- (34) السلوك 528/2 .

- (35) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين 35/6 . وهذا ما ترجح لدينا من تتبعنا للنسخة المطبوعة من عيون التواريخ ، وفوات الوفيات .
- (36) حطين : قرية تقع غرب بحيرة طبرية اشتهرت بالمعركة الحاسمة التي أدت إلى فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين وتحريرها من الصليبيين وكانت هذه المعركة في يوم الجمعة 14 ربيع الثاني من عام 583هـ/1187م (عطية الله . القاموس الإسلامي 114/2) .
- (37) الدارس 527/1 .
- (38) الدارس 526/1 . ناقلاً عن ابن شداد (ت 684هـ / 1285م) في الأعلام الخطيرة .
- (39) النعمي . الدارس 528/1 ومن الغريب أن أكرم حسن العلي في كتابه (خطط دمشق ، دراسة تاريخية شاملة على مدى ألف عام من سنة 400هـ حتى سنة 1400هـ لدور القرآن والحديث والمدارس والبيمارستانات والجوامع الكبرى والخوانق والربط والزوايا والأسواق والخانات والحمامات والدروب 191) أكد على أن ما ذكره ابن شداد عن تاريخ بناء المدرسة غير صحيح معتمداً على ما ذكره بامخرمة مستدلاً بأن هذا كان معاصراً للزنجيلي وهذا من غرائب ما قيل بامخرمة متوفى سنة 947هـ/1540م يعني بعد الزنجيلي بثلاثة قرون وخمس القرن !!
- (40) ابن سمرة . طبقات 204 ، 221 - بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 131/2 .
- (41) الشمري . عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية 208 .
- (42) النجوم الزاهرة 69/6 .
- (43) ابن الأثير . الكامل 397/11 ، 398 .
- (44) أبو شامة . الروضتين 260/1 .
- (45) ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة 69/6 .
- (46) الخزرجي . المسجد المسبوك 148-154 - بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 37/2 .
- (47) ابن الأثير . الكامل 398/11 .
- (48) بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 131/2 .
- (49) بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 38/2 ، 69 ، 70 . الأمراء الثلاثة الآخرون هم : أبا الميمون مبارك بن كامل الكناني على زييد وأعمالها ، وياقوت التعزي على تعز وأعمالها ، ومظفر الدين قايماز على جبلت ونواحيها (انظر : الخزرجي . المسجد المسبوك 156 - بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 38/2) .
- (50) بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 131/2 .
- (51) ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة 69/6 .
- (52) الجندي السلوك 64 ، 72 .
- (53) ابن عبد المجيد . بهجة الزمن 132 .
- (54) نسب بامخرمة (تاريخ ثغر عدن 12) هذا القول للجندي في السلوك ورغم البحث عن هذا الرأي إلا أنني لم أعثر عليه ، ولكنه وجد عند الخزرجي . المسجد المسبوك 157 بصيغة : " قالوا وكان ممن يبغي في الأرض فساداً " .
- (55) ابن سمرة الجعدي . طبقات فقهاء اليمن 220 ، 221 - بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 260 .
- (56) الروضتين 260/1 . وذكر أن هارون اتخذ مدينة شبار حضرموت مقراً له .
- (57) المصدران نفسيهما ومسألت دخول ابن سمرة إلى عدن كان سنة 581هـ / 1185م (انظر : ابن سمرة . الطبقات 127) .
- (58) تريم : مدينة بحضرموت تعد قاعدتها هي ومدينة شبار (السقاف . معجم بلدان حضرموت 490 - وانظر : محمد يسلم عبد النور . الحياة العلمية في تريم في القرن العاشر الهجري 14 - وياغوث خالد سعيد محمد . الدرر الثمينة في تاريخ مساجد تريم ومعالمها القديمة 14 ، 15) .
- (59) انظر : بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 131 - بامخرمة . قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر 2507/2 .
- (60) صالح الحامد . تاريخ حضرموت 417-423 - الشاطري . أدوار التاريخ الحضرمي 171/1 .

- (61) أدوار 164/1-170 .
- (62) العامد . تاريخ حضرموت 424-427 - الشاطري . أدوار 171/1 ، 172 .
- (63) الروضتين 260/1 .
- (64) ابن حاتم . السمط الغالي الثمن 23 - الشاطري . أدوار 173/1 - الشمري . عدن 211 ، 212 .
- (65) يحيى بن الحسين . غايّة الأمانى 327/1 - العامد . تاريخ حضرموت 425 .
- (66) يحيى بن الحسين . غايّة الأمانى 327/1 .
- (67) العامد . تاريخ حضرموت 450 .
- (68) الشاطري . أدوار 175/1 - باوزير . صفحات 72 .
- (69) انظر : بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 131 .
- (70) ابن الأثير . الكامل 480/11 .
- (71) ابن عبد المجيد . بهجة الزمن 133 .
- (72) بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 18/2 .
- (73) طبقات فقهاء اليمن 204 .
- (74) ابن الأثير . الكامل 397/11 ، 398 .
- (75) الخزرجي . المسجد المسبوك 159 .
- (76) يحيى بن الحسين . غايّة الأمانى 327/1 .
- (77) انظر : ابن عبد المجيد . بهجة الزمن 104-129 .
- (78) بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 164/2 .
- (79) تاريخ المستبصر 140 .
- (80) ابن المجاور . تاريخ المستبصر 144 ، 145 .
- (81) الرحلة 148 ، 149 .
- (82) ابن المجاور . تاريخ المستبصر 114 .
- (83) المصدر نفسه 145 .
- (84) بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 31/2 - قلادة النحر 2507/2 .
- (85) تاريخ ثغر عدن 15/1 .
- (86) ابن المجاور . تاريخ المستبصر 149 .
- (87) المستبصر 128 .
- (88) رابضة . معالم عدن التاريخية 28 .
- (89) تاريخ ثغر عدن 14 / 1 ، 15 .
- (90) معالم عدن التاريخية 72 ، 74 .
- (91) المرجع نفسه 77 .
- (92) المرجع نفسه 79 ، 86 .
- (93) المرجع نفسه 62 .
- (94) تاريخ المستبصر 128 - وبامخرمة . تاريخ ثغر عدن 47/1 .
- (95) تاريخ المستبصر 130 .
- (96) المرجع نفسه 128 .
- (97) بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 10/1 .
- (98) ابن المجاور . تاريخ المستبصر 127 - بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 12/1 .
- (99) معالم عدن التاريخية 80 - 82 .
- (100) المرجع نفسه 23 ، 24 ، 85 ، 87 .
- (101) ابن المجاور . المستبصر 148 - بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 1 / 21 ، 22 .

-
- (102) المستبصر 131 .
(103) بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 10/1 .
(104) بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 10/1 .
(105) الخزرجي . المسجد المسبوك 157 .
(106) المصدر نفسه والصفحة .
(107) تاريخ ثغر عدن 2 / 131 .
(108) قلادة النحر 2 / 2507 .
(109) رابضة . معالم عدن 42 ، 54 .
(110) معالم عدن التاريخية 47 .
(111) النعيمي . الدارس في تاريخ المدارس 526/1 .
(112) الخزرجي . المسجد المسبوك 157 - ابن عبدالمجيد . بهجت الزمن 132 - الفاسي . العقد الثمين 34/6 - بامخرمة
. تاريخ ثغر عدن 131/2 .
(113) المستبصر 130 .
(114) بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 131/2 .